مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيــة
ISSN: 2709-0302 (online)



Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

التوافق في تقرير العقيدة بين ابن القيم والشافعية من أهل السنة في أبواب الرسالة والرسل (جمعًا ودراسة)(*)

د/ عبدالله بن حميد بن علي الغامدي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز، جدة - السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 1/11/2024 تاريخ قبوله للنشر 25/12/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التوافق في تقرير العقيدة بين ابن القيم والشافعية من أهل السنة في أبواب الرسالة والرسل (جمعًا ودراسة)

د/ عبدالله بن حميد بن علي الغامدي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة – السعودية

المخلص

يبحث هذا البحث في توافق الإمام ابن القيم مع المحققين من علماء الشافعية في مسائل الرسل والرسالات، وهو موضوع مهم لتوضيح عقيدة السلف. ويتناول البحث تعريف النبي والرسول لغويًا وشرعيًا، حيث يبين أن النبي مشتق من النبأ أي الخبر، وأن الرسول هو من أُرسل إلى من خالف أمر الله، بينما النبي يعمل بشريعة من سبقه. كما يناقش البحث حكم الإيمان بالرسل باعتباره ركنًا من أركان الإيمان، وهو ما اتفق عليه ابن القيم مع علماء السنة، ومنهم الشافعية.

ويستعرض البحث أيضًا الحكمة من بعثة الرسل، مثل إقامة الدين، والدعوة إلى التوحيد، والنهي عن التفرق، وإقامة الحجة على الناس، وجميعها محل اتفاق بين ابن القيم وعلماء السنة. كما يؤكد البحث على أن الرسل جميعًا متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، مستدلًا بحديث: "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد."

خلص البحث إلى اتفاق ابن القيم مع المحققين من الشافعية في هذا الباب، ويوصي الباحثون بدراسة توافق ابن القيم مع علماء الشافعية في بقية أصول العقيدة، مثل الأسماء والصفات، والألوهية، والربوبية، وباقي أركان الإيمان.

الكلمات المفتاحية: ابن القيم، الشافعية، الموافقة، الرسل.

Consensus in determining the doctrine between Ibn al-Qayyim and the Shafi'is From the Sunnis in the chapters on the message and the messengers (collection and study)

Dr. Abdullah bin Humaid bin Ali Al-Ghamdi
College of Arts and Humanities
King Abdulaziz University, Jeddah - Saudi Arabia

Abstract

This research examines the agreement between Imam Ibn Al-Qayyim and verified Shafi'i scholars on the topics of Prophets and Messages. It highlights the significance of their concordance in summarizing the creed of the Salaf regarding these fundamental issues.

The study explores key topics, beginning with defining "prophet" and "messenger" linguistically. It concludes that a prophet derives from naba (news and holds an elevated status, aligning with Ibn Al-Qayyim and Shafi'i scholars. It then discusses the distinction between a prophet and a messenger according to Islamic law, confirming their agreement that a messenger is sent to those who oppose Allah's command, while a prophet follows previous laws.

Further, the study affirms that belief in Prophets is a pillar of faith, a point of consensus among Ibn Al-Qayyim and Ahl Al-Sunnah scholars. It also examines the wisdom behind sending messengers, such as establishing religion and calling to monotheism, which is unanimously accepted. The study demonstrates that all prophets shared the same fundamental beliefs, as stated in the hadith: "The prophets are paternal brothers; their religion is one."

The research concludes with findings confirming Ibn Al-Qayyim's alignment with Shafi'i scholars and recommends further studies on their agreement in other theological matters.

Keywords: Ibn al-Qayyim**,** Shafi'i scholars**,** Alignment**,** the Prophets.

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن العقيدة الصحيحة هي جوهر الإسلام وأصله الذي يقوم عليه، والشريعة مبنية على العقيدة الصحيحة الخالصة لله فمن ضيع العقيدة فهو كالسائر بغير هدى، ولعلماء أهل السنة دور بارز في تقرير مسائلها وبيانها بالأدلة الصحيحة والرد على المخالفين ومن أبرزهم ابن القيم – رحمه الله – فقد كان له دور كبير في تقرير مسائلها موافقا بذلك من سبقه من علماء السنة ومن أهمهم المحققون من علماء الشافعية – رحمهم الله – وفي هذا البحث سأعقد مقارنة بين جهود ابن القيم – رحمه الله – وبين العلماء المحققين من الشافعية في باب من أبواب العقيدة وهو باب الرسل والرسالات.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث يكمن في سؤال مهم وهو: هل ابن القيم خالف من تقدم من العلماء في تقرير العقيدة في باب الرسل والرسالات؟

هدف البحث:

يهدف البحث إلى بيان موافقة الإمام ابن القيم – رحمه الله – للمحققين من علماء الشافعية في اباب الرسل والرسالات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في مقارنة أقوال ابن القيم – رحمه الله – بأقوال العلماء المحققين من الشافعية حيث أنه يلخص عقيدة السلف في المسائل التي احتوى عليها ذلك الباب المهم.

منهج البحث:

لقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي حيث قمت باستقراء آراء ابن القيم – رحمه الله – في باب الرسل والرسالات ثم قارنتها بأقوال المحققين من علماء الشافعية لأرى مدى المقاربة بينهم في ذلك الباب وأنه لم يخالف من تقدمه وبالأخص عالمحققين من علماء الشافعية.

حدود البحث:

سيقتصر البحث – إن شاء الله – على بحث أشهر المسائل المتعلقة بالرسل والرسالات وهي مذكورة في البحث مفصلة، مقارنا فيها أقوال ابن القيم في تلك المسائل بأقوال المحققين من علماء الشافعية لأثبت موافقته لهم.

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثًا حسب علمي يتناول موضوع أراء ابن القيم في موضوع الرسل والرسالات مقارنة بآراء المحققين من علماء الشافعية.

الخطة:

وفيها خمسة مباحث. وتحت كل مبحث عدة مطالب.

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول لغة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النبي لغة

المطلب الثاني: تعريف الرسول لغة

المبحث الثاني: الفرق بين النبي والرسول شرعًا، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بعض أقوال أهل السنة في التفريق بين النبي والرسول شرعًا

المطلب الثاني: أقوال المحققين من علماء الشافعية في التفريق بين النبي والرسول

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم – رحمه الله – في التفريق بين النبي والرسول

المبحث الثالث: حكم الإيمان بالرسل وأدلته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدلة الإيمان بالرسل

المطلب الثاني: أقوال المحققين من علماء الشافعية في حكم الإيمان بالرسل

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم – رحمه الله – في حكم الإيمان بالرسل

المبحث الرابع: الحكمة من بعث الرسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معتقد أهل السنة في الحكمة من إرسال الرسل – عليهم السلام

المطلب الثاني: أقوال المحققين من الشافعية في بيان الحكمة من إرسال الرسل – عليهم السلام

المطلب الرابع: أقوال ابن القيم – رحمه الله – في بيان الحكمة من إرسال الرسل – عليهم السلام

المبحث الخامس: الرسل كلهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكر بعض الأدلة على أن الأنبياء متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

المطلب الثاني: أقوال المحققين من علماء الشافعية على أن الرسل كلهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم – رحمه الله – على أن الرسل كلهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

الخاتمة والتوصيات.

المراجع.

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول لغة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النبي لغة

نبأ: **النَّبَأُ**: الْخَبَرُ، وَالْجَمْعُ أَنْبَاءٌ، وإِنَّ لِفُلَانٍ نَبَأً أَي خَبَرًا، وَقَوْلُهُ تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، وَقِيلَ: إِنَّ النَّبِيَّ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّبَاوَة، وَهِيَ الشَّيْءُ الْمُرْتَفِع.."[1].

وعرف السمعاني – رحمه الله – النبوة لغة، فقال: "وأصله الإنباء، فمن همز كان على الأصل، ومن لينه فلكثرة الاستعمال، وقيل: هو مأخوذ من النَبْوَة، وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون التليين على الأصل "[2].

والتحقيق في هذا أن النبي من النبأ وهو الخبر والمعنى الثاني وهو النبوة داخل في الأول فكل نبي هو في مكان مرتفع ولا شك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: "والتحقيق: أنّ هذا المعنى داخلٌ في الأول، فمن أنبأه الله، وجعله مُنْبِئًا عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليًّا، وأما لفظ العلو والرفعة: فلا يدل على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلى؛ كما قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[3]"[4].

وقال – أيضًا: "قراءة الهمز قاطعةٌ بأنّه مهموز، واللفظان (يقصد: النبيّ، والنبيء، مشتركان في الاشتقاق الأكبر؛ فكلاهما فيه النون والباء، وفي هذا الهمزة، وفي هذا الحرف المعتل، لكنّ الهمزة أشرف، فإنّها أقوى"°.

وقال – أيضًا: "فيجب القطع بأنّ النبيّ مأخوذٌ من الإنباء، لا من النَّبْوَة، والله أعلم"[6].

المطلب الثاني: تعريف الرسول لغة:

قال الأزهري: وَالرَّسُول مَعْنَاهُ فِي اللُّغَة:" الَّذِي يُتَابع أَخْبَار الَّذِي بَعثَه؛ أُخِذ من قَوْلهم: جَاءَت الإبلُ رسلًا، أَي: متتابعة"[7].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٤)، لسان العرب (١٦٢/١-١٦٣).

(٢) التفسير (٨٧/١).

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٣٩.

(٤) النبوات (٨٨٢/٢).

(٥) النبوات (٨٨٢/٢).

(٦) النبوات (٨٨٣/٢).

(٧) تهذيب اللغة (٢٧٢/١٢)، لسان العرب لابن منظور (٢٨٤/١١).

المبحث الثاني: الفرق بين النبي والرسول شرعًا

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بعض أقوال أهل السنة في التفريق بين النبي والرسول شرعًا

من العلماء من لم يفرق بين النبي والرسول، ومنهم من فرق، وكان الصواب معهم، والتحقيق في التفريق بينهما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقد قال: النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبيء بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول.

ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[١]، وقال: "فذكر إرسالًا يعمّ النوعين، وقد خص أحدهما بأنّه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح..."[٢].

تبين لنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن الفارق الصحيح بين النبي والرسول هو:

١ –أن الرسول هو من أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله.

٢ –وأن النبي هو من كان يعمل بشريعة من قبله ولم يُرسل إلى أحد يبلغه عن الله فهو نبي، وليس برسول.

المطلب الثاني: أقوال المحققين من علماء الشافعية في التفريق بين النبي والرسول

يذهب المحققون من علماء الشافعية إلى التفريق بين النبي والرسول ولهم في ذلك أقوال متعددة:

فقد ذكر السمعاني – رحمه الله – الأقوال في المسألة، فقال:

- قال بعضهم: هما سواء.
- وفرق بعضهم بينهما، فقال: الرسول: هو الذي يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي، والنبي: هو الذي يأتيه الوحي في المنام، أو يلهم إلهامًا.
- ومنهم من قال: الرسول هو الذي له شريعة يحفظها، والنبي هو الذي بُعث على شريعة غيره فيحفظها، ثم قعد قاعدة، فقال:

وقد قالوا: كل رسول نبي، وليس كل نبي برسول"[٣].

وقال في موضع آخر: "النبي: هو العالي في الرتبة، بإرسال الله إياه، وإقامة الدليل على صدقه"[٤].

---

(١) سورة الحج: الآية: ٥٢.

(٢) النبوات (٢/٧١٤).

(٣) التفسير (٣/٤٤٧).

(٤) التفسير (٣/٢٩٤).

وقال البغوي – رحمه الله: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ عَيَانًا، ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ وَهُوَ الَّذِي تَكُونُ نُبُوَّتُهُ إِلْهَامًا أَوْ مَنَامًا، وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا"(١).

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم – رحمه الله – في التفريق بين النبي والرسول

فرق ابن القيم – رحمه الله – بين النبي والرسول كغيره من علماء السنة فقال في الرسل: "الطبقة الأولى وهي العليا على الإطلاق: مرتبة الرسالة، فأكرمُ الخلق على الله وأخصُّهم بالزلفى لديه رسلُه، وهم المصطفون من عباده... ويكفي في فضلهم وشرفهم أنَّ الله سبحانه اختصَّهم بوحيه، وجعلهم أُمَناءَ على رسالته، ووسائط بينه وبين عباده، وخصَّهم بأنواع كرامته... وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق، وعليهم تدور الشفاعة حتى يردّوها إلى خاتمهم وأفضلهم ﷺ"(٢).

وقال وهو يتكلم في طبقات المكلفين عن طبقة الأنبياء:

"الطبقة الثالثة: الأنبياء الذين لم يُرسَلوا إلى أُممهم، وإنَّما كانت لهم النبوة دون الرسالة، فاختُصُّوا عن الأمة بإيحاءِ الله إليهم، وإرساله ملائكته إليهم.

واختصَّت الرسلُ عنهم بإرسالهم إلى الأمة يدعونهم إلى الله بشريعته وأمره، واشتركوا في الوحي ونزول الملائكة عليهم"(٣).

من خلال ما سبق يتبين أن ابن القيم – رحمه الله – وافق بعضًا من علماء الشافعية المحققين.

المبحث الثالث: حكم الإيمان بالرسل وأدلته:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدلة الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

أما من الكتاب: فإن الله – تعالى – يقول: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٤).

(١) التفسير (٥/٣٩٣).

(٢) طريق الهجرتين (٢/٧٦١).

(٣) المصدر نفسه (٢/٧٦٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٧٧.

وأما من السنة: فعن أَبِي هُرَيْرَة – رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ :أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وملائكته ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر)[1].

وجه الدلالة من النصين: أن الله ذكر من أركان الإيمان بالنبيين، فدل على أنه أصل من أصوله، وكذلك ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بالرسل في حديث جبريل فدل على أنه أصل من أصول الإيمان يجب الإيمان به.

المطلب الثاني: أقوال المحققين من علماء الشافعية في حكم الإيمان بالرسل

قرر المحققون من علماء الشافعية أن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال محمد بن نصر المروزي – رحمه الله – مبينًا معنى أن تؤمن برسله: "أن تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلًا، وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل :إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به، وتصديقك إياه، واتباعك ما جاء به"[2].

وقال الإسماعيلي – رحمه الله: "اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدل عما ورد به ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونا لهم الهدى فيهما، مشهودًا لهم بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم"[3].

وقال الأصبهاني – رحمه الله: "قد أمرنَا بِأَن نؤمن بملائكة اللَّه وَكتبه وَرُسُله وباليوم الآخر وبالجنة وَنَعِيمهَا، وبالنار وعذابها، وَمَعْلُوم أَنا لَا نحيط علما بِكُل شَيْء مِنْهَا عَلَى التَّفْصِيل وَإِنَّمَا كلفناه الإيمان بهَا جملَة"[4].

وقال – أيضًا: "أهل السّنة يَعْتَقِدُونَ أَن الله وَحده لَا شريك لَهُ، وَلَا مثيل لَهُ، وَأَنه لم يزل متصفًا بصفاته الْحسنى... ويؤمنون بملائكة الله، وَكتبه، وَرُسُله، وبالقدر خَيره، وشره، وبسؤال الْقَبْر، والشفاعة..."[5].

وقال البغوي – رحمه الله: "وأولى العلم بالتعلم بعد معرفة الله – تعالى – بالوحدانية والصفات والإيمان بملائكته وكتبه ورسله – علم الفقه ومعرفة أحكام الشرع؛ لأن الله تعالى خلق الخلق للعبادة، فقال جل ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأرسل الرسل إلى العباد، وأنزل معهم الكتاب ليبينوا لهم

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير– باب: باب: ﴿إنه الله عنده علم الساعة﴾ (١٧٩٣/٤)، ح٤٤٩٩، ورواه مسلم"كتاب الإيمان – باب: اب بَيَانِ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ وَالإِحْسَانِ وَوُجُوبِ الإِيمَانِ بِإِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ (٣٦/١)، ح٥.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (ص: ٤٩).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١٩٠/١).

(٥) المصدر نفسه (٢٣٤/٢–٢٣٢).

الشرائع والأحكام، قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(١)"(٢).

وهذه العقيدة مما أجمع عليها علماء السنة ولم يختلفوا فيها، قال أبو الحسن الأشعري وهو يحكي إجماعات أهل الحديث: "هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئهم"(٣).

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم – رحمه الله – في حكم الإيمان بالرسل

قرر ابن القيم – رحمه الله – أن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال – رحمه الله: "وَالْإِيمَان بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر دَاخل فِي الْإِيمَان بالكتب وَالرسل وَجمع بَينهمَا النَّبِي ﷺ فِي حَدِيث عمر فِي قَوْله فِي الْإِيمَان: (أَن تؤمن بِاللَّه وَمَلَائِكَته وَكتبه وَرُسُله وَالْيَوْم الآخر)(٤) فَهَذِهِ الْأُصُول الْخمس من لم يُؤمن بهَا فَلَيْسَ بِمُؤْمِن وَالْيَقِين أَن يقوم الْإِيمَان بهَا حَتَّى تصير كَأَنَّهَا مُعَاينَة للقلب مُشَاهدَة لَهُ نسبتها إِلَى البصيرة كنسبة الشَّمْس وَالْقَمَر إِلَى الْبَصَر وَلِهَذَا قَالَ من قَالَ من السّلف الْيَقِين الْإِيمَان كُله"(٥).

وقال – أيضًا: "إن أصول الإيمان خمس، وهي: الإيمان بالله وملائكتِهِ وكُتبه ورسله واليوم الآخر، وأصول الإسلام خمسة، وهي: كلمة الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت"(٦).

المبحث الرابع: الحكمة من بعث الرسل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معتقد أهل السنة في الحكمة من إرسال الرسل – عليهم السلام –مع الأدلة وأقوال علماء السنة

أرسل الله الرسل عليهم السلام لحكم عظيمة منها:

إقامة الدين، والدعوة للتوحيد، والنهي عن التفرّق فيه، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾(٧).

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٢١٣.

(٢) التهذيب في فقه الإمام الشافعي (١/١٠١).

(٣) مقالات الإسلاميين (٢٩٢-٢٩٠).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان – باب: بَيَانِ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ وَالإِحْسَانِ وَوُجُوبِ الإِيمَانِ بِإِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ (١/٣٧)، ح١.

(٥) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ١٩-٢٠).

(٦) الصواعق المرسلة (١/١٦١).

(٧) سورة الشورى: الآية: ١٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: "وَهَذَا الْأَصْلُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ هُوَ أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ الْأَوَّلِينَ والآخرين دِينًا غَيْرَهُ وَبِهِ أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ".

واستدل على ذلك، فقال:

- كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[١].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢].

- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[٣].

- وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عَنْ كُلٍّ مِنْ الرُّسُلِ أَنَّهُ افْتَتَحَ دَعْوَتَهُ بِأَنْ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[٤]"[٥].

وليكونوا مبشـــرين ومنذرين، ولا يكون للناس حجة بعد الرســـل، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٦].

قال الطبري – رحمه الله: "قُوله: "أَرْسَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي مُبَشِّـرِينَ وَمُنْذِرِينَ، لِئَلَّا يَحْتَجَّ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ الْأَنْدَادَ مِنْ دُونِي، أَوْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِي بِأَنْ يَقُولَ إِنْ أَرَدْتُ عِقَابَهُ: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[٧] فَقَطَعَ حُجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ أَلْحَدَ فِي تَوْحِيدِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ بِجَمِيعِ مَعَانِي الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُ، إِعْذَارًا مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، لِتَكُونَ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ"[٨].

وقال – أيضـــا: "وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي قَوْمٍ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ عُذْرَهُمْ".

وقال ابن أبي زمنين – رحمه الله: "﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١٠].

---

(١) سورة الزخرف: الآية: ٤٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل: الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية: ٥٩.

(٥) الفتاوى (١/١٥٤).

(٦) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(٧) سورة طه: الآية: ١٣٤.

(٨) التفسير (٧/٦٩٣).

(٩) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(١٠) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

تَفْسِيرُ الْحَسَنِ: "لَا يُعَذِّبُ قَوْمًا بِالِاسْتِئْصَالِ حَتَّى يَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي أَقَامَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى الْخَلْقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(٢).

ولكسر الأوثان وعبادة الله وحده، فقد روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن عنبسة – رضي الله عنه – قال: "فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: (أَنَا نَبِيٌّ)، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: (أَرْسَلَنِي اللَّهُ)، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: (أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ)"(٣).

المطلب الثاني: أقوال المحققين من الشافعية في بيان الحكمة من إرسال الرسل – عليهم السلام

قد بين علماء السنة ومنهم المحققون من علماء الشافعية الحكم العظيمة التي لأجلها أرسل الله الرسل ومنها: أن لا يعذب أحدًا وقع في مخالفته إلا بعد أن يقيم عليه الحجة، قال السمعاني – رحمه الله: "قَوْله – تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ﴾ أَي: أرسلنا رسلًا ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(٤) وَهَذَا دَلِيل على أَن الله تَعَالَى لَا يعذب الْخلق قبل بَعثه الرُّسُل، وَهَذَا معنى قَوْله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا﴾(٥) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾(٦)، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٧) أَي: مقتدرًا على معاونة الْخلق (حكيما) ببعث الرُّسُل"(٨).

وقال البغوي – رحمه الله: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(٩) فَيَقُولُوا: مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَمَا أَنْزَلْتَ إِلَيْنَا كِتَابًا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْخَلْقَ قَبْلَ بَعْثِهِ الرَّسُولَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا﴾(١٠)"(١١).

---

(١) تفسير القرآن العزيز (١٥/٣).

(٢) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب: إسلام عمرو بن عبسة (٥٦٩/١)، ح٢٩٤.

(٤) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(٥) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(٦) سورة طه: الآية: ١٣٤.

(٧) سورة النساء: الآية: ١٥٨.

(٨) التفسير (٥٠٣/١).

(٩) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(١٠) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(١١) التفسير (٣١٢/٢).

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم – رحمه الله – في بيان الحكمة من إرسال الرسل – عليهم السلام

بين ابن القيم – رحمه الله – الحكمة من بعث الله لرسله عليهم السلام وهي أن الله أرسلهم ليكونوا حجة على الخلق، وأن من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة، فقال – رحمه الله: "إن الله سبحانه قد أقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله فقال ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[١] وقال ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[٢] فكل من بلغه هذا القرآن فقد أنذر به وقامت عليه حجة الله به وقال تعالى:﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٣] وقال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٤]"[٥].

المبحث الخامس: الرسل كلهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذكر بعض الأدلة على أن الأنبياء متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

دل على هذا القرآن والسنة:

أما من القرآن:

فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٦].

قال الطبري – رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية"[٧].

وساق الطبري بسنده عن قتادة – رحمه الله – قال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٨]: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم عمل

---

(١) سورة الفرقان: الآية: ١.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ١٩.

(٣) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(٥) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/٧٣٥).

(٦) سورة الأنبياء: الآية: ٢٥.

(٧) التفسير (١٨/٤٢٧).

(٨) سورة الأنبياء: الآية: ٢٥-٢٧.

حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له"(1).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾(2).

والشاهد من هذه الآية هو قوله – تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾(3)، شرعة ومنهاجًا: يعني سبيلًا وسنة، وقد ساق الطبري – رحمه الله – بسنده عن قتادة في قوله تعالى﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(4)، يقول: "سبيلًا وسُنّة، والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاصُ لله، الذي جاءت به الرسل"(5).

وبسنده – أيضًا – عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(6)، قال: "الدينُ واحد، والشريعةُ مختلفة"(7).

وقال ابن كثير – رحمه الله: "هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَدْيَانِ، بِاعْتِبَارِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ الْكِرَامَ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْأَحْكَامِ، الْمُتَّفِقَةِ فِي التَّوْحِيدِ... وَأَمَّا الشَّرَائِعُ فَمُخْتَلِفَةٌ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَقَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ حَرَامًا ثُمَّ يَحِلُّ فِي الشَّرِيعَةِ الْأُخْرَى، وَبِالْعَكْسِ، وَخَفِيفًا فَيُزَادُ فِي الشِّدَّةِ فِي هَذِهِ دُونَ هَذِهِ، وَذَلِكَ لِمَا لَهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ"(8).

وأما من السنة:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)(9).

---

(1) المصدر نفسه.
(2) سورة المائدة: الآية: ٤٨.
(3) سورة المائدة: الآية: ٤٨.
(4) سورة المائدة: الآية: ٤٨.
(5) التفسير (١٠/٣٨٥).
(6) سورة المائدة: الآية: ٤٨.
(7) التفسير (١٠/٣٨٥).
(8) التفسير (٣/١٢٩ ت: سلامة).
(9) رواه البخاري –كتاب الأنبياء: باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ [مريم: ١٦]، (٣/١٢٧٠)، (ح٣٢٥٩)، ورواه مسلم–كتاب الفضائل: باب: فَضَائِلِ عِيسَى – عليه السلام (٤/١٨٣٧)، (ح٢٣٦٥).

قوله في الحديث: "إخوة لعلات": "الأخوة من أب واحد... يريد أن أصـــل دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أن أولاد العلّات أبوهم واحدٌ وإن كانت أمهاتهم شتَّى"(١).

المطلب الثاني: أقوال المحققين من علماء الشـــافعية على أن الرســـل كلهم متفقون في أصـــول الدين وقواعد الشريعة

اتفق المحققون من علماء الشـافعية أن الرسـل كلهم متفقون في أصـول الدين، قال البغوي – رحمه الله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَـنُ وَمُجَاهِدٌ: أَيْ سَـبِيلًا وَسُـنَّةً، فَالشِّـرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَكُلُّ مَا شَرَعَتْ فِيهِ فَهُوَ شَرِيعَةٌ وَشِرْعَةٌ، وَمِنْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ لِشُرُوعِ أَهْلِهَا فِيهَا، وَأَرَادَ بِهَذَا أَنَّ الشَّـرَائِعَ مُخْتَلِفَةٌ، وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ شَـرِيعَةٌ، قَالَ قَتَادَةُ: الْخِطَابُ لِلْأُمَمِ الثَّلَاثِ: أُمَّةِ مُوسَـى وَأُمَّةِ عِيسَـى وَأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، للتوراة شريعة والإنجيل شَرِيعَةٌ وَلِلْفُرْقَانِ شَرِيعَةٌ، وَالدِّينُ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّوْحِيدُ"(٣).

وقال الأصـبهاني – رحمه الله: "عِنْد أهل السّـنة أَن نَبينَا ﷺ – كَانَ متعبدًا بشـريعة من كَانَ قبله من الْأَنْبِيَاء خلافًا لمن قَالَ: لم يكن متعبدًا".

ثم ذكر الأدلة على ذلك، فقال:

١- دليلنا قَوْله تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٤) فَذكر الله أنبياءه: إِبْرَاهِيم، وَإِسْمَاعِيل، وَإِسْحَاق، وَغَيرهم، وَأخْبر أَنه هدَاهُم، وأمرنا باتباعهمْ فِيمَا هدَاهُم بِهِ، وَالْأَمر يَقْتَضِي الْوُجُوب.

٢- وَقَوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾(٥) فَأمر بِاتِّبَاع مِلَّة إِبْرَاهِيم، وأمره عَلَى الْوُجُوب، لِأَن الحكم إِذا ثَبت فِي الشَّـرْع لم يجز تَركه حَتَّى يرد دَلِيل نسـخه، وَلَيْسَ فِي بَعثه النَّبِي ﷺ – مَا يُوجب نســـخ الْأَحْكَام الَّتِي قبله فَإِن النّســـخ إِنَّمَا يكون عِنْد التَّنَافِي، والبعثة إِنَّمَا تكون بِالتَّوْحِيدِ، وَلَيْسَ فِيهِ مُنَافَاة لتِلْك الْأَحْكَام، فوجوب التَّمَسُّـــك بِتِلْكَ الْأَحْكَام وَالْعَمَل بهَا حَتَّى يرد مَا ينافيها ويزيلها كَمَا وَجب ذَلِك قبل بَعثه النَّبِي ﷺ(٦).

ويســتأنس في ذلك – أيضًــا – بما ذكره علاء الدين بن العطار الشــافعي، فقد قال: "واعلم أن دين الإسلام هو دين جميع رسل الله وأنبيائه – صلوات الله وسلامه عليهم – وجميع من آمن بهم، ومن نسبهم إلى غيره فهو كافرٌ".

(١) أعلام الحديث للخطابي (١٥٦٠/٣).
(٢) سورة المائدة: الآية: ٤٨.
(٣) التفسير (٦٦/٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية: ٩٠.
(٥) سورة النحل: الآية: ١٢٣.
(٦) الحجة في بيان المحجة (٤٩٢/٢).

ودلل على ذلك، فقال:

١-قال الله تعالى إخبارًا عن نوح - عليه السلام: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

٢-وعن موسى - عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[٢].

٣-وثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأنبياء أولاد علّاتٍ، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى)[٣]، يعني: دينهم الإسلام، وشرائعهم مفترقة..."[٤].

المطلب الثالث: أقوال ابن القيم - رحمه الله - على أن الرسل كلهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة

قد بين ابن القيم - رحمه الله تعالى - أن الرسل كلهم متفقون في أصول الدين وهو التوحيد، فقال - رحمه الله - في النونية[٥]:

الدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ ... لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيهِ اثْنَانِ

دِينُ الإلهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ ... ولِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الأَدْيَانِ

فَمِنَ المحَالِ بأنْ يَكُونَ لِرُسْلِهِ ... فِي وَصْفِهِ خَبَرَانِ مُخْتَلِفَانِ

قال أحمد بن عيسى - رحمه الله: "شرع النَّاظِم - رحمه الله - فِي ذكر أَشْيَاء مِمَّا يقطع بِأَنَّهَا دين الرُّسُل عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام وَذَلِكَ كعلو الله تَعَالَى على خلقه وَإِثْبَات صِفَاته تَعَالَى وَكَلَامه وَإِثْبَات معاد الْأَبدَان والتوحيد وَإِثْبَات الْقَضَاء وَالْقدر وَذَلِكَ مِمَّا يقطع بِهِ ضَرُورَة ثمَّ قَالَ فالرسل متفقون قطعًا فِي أصُول الدّين وَذَلِكَ بِغَيْر شكّ وَأما شرائعهم فمختلفة كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٦]"[٧].

وقال ابن القيم - رحمه الله - أيضًا: "هذا هو دينُ الإسلام الذي أخبر اللهُ أنه دينُ أنبيائِهِ ورسلِهِ من أولهم نوح إلى خاتَمِهم محمد ﷺ، فهو بمنزلة الأب الواحد، وأما شرائعُ الأعمال والمأمورات فقد تختلفُ، فهي بمنزلة الأمهَّات الشَّتَّى، فإنّ لقاحَ تلك الأمهات من أبٍ واحد، كما أن مادَّة تلك الشرائع المختلفة

---

(١) سورة النمل: الآية: ٩١.

(٢) سورة يونس: الآية: ٨٤.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل - باب: فَضَائِلِ عِيسَى - عليه السلام (١٨٣٧/٤ح١٤٥) ولفظه عنده:" لْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ، وأخرجه البخاري - أيضًا: كتاب الأنبياء - باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ /مريم: ١٦ (١٢٧٠/٣)، ح٣٢٥٩.

(٤) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص: ٣٠٩-٣١٠).

(٥) (٣٥٤/٢).

(٦) سورة الْمَائِدَة: الآية: ٤٨.

(٧) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٤٣٥/١).

من دين واحد متفق عليه، فهذا أولى المعنيين بالحديث، وليس في تباعد أزمنتهم ما يوجبُ أن يُشَبِّهَ زمانَهم بأمهاتهم، ويجعلون مختلفي الأمهات لذلك، وكون الأم بمنزلة الشـــريعة والأب بمنزلة الدين، وأصـــالة هذا وتذكيره وفرعيَّه الأم وتأنيثها، واتحاد الأب وتعدد الأم، ما يدلُّ على أنه معنى الحديث، والله علم"[1].

الخاتمة:

وفي ختام هذا المبحث فقد خلصت إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولًا: نتائج البحث

من خلال البحث تبين أن الإمام ابن القيم وافق المحققين من علماء الشافعية في الآتي:

- التفريق بين النبي والرسول شرعًا.
- أن الرسول هو من أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله.
- أن النبي هو من كان يعمل بشريعة من قبله ولم يُرسل إلى أحد يبلغه عن الله فهو نبي، وليس برسول.
- أن الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

وأن الله أرسل الرسل عليهم السلام لحكم عظيمة منها:

١- إقامة الدين.

٢- وليكونوا مبشرين ومنذرين، ولا يكون للناس حجة بعد الرسل.

٣- ولكسر الأوثان وعبادة الله وحده، وغيرها من الحكم.

وأن الرسـل كلهم متفقون في أصـول الدين وقواعد الشـريعة، وقد دل على هذا القرآن والسـنة، وقد اتفق علماء السنة جميعهم على أن الرسل جميعًا متفقون في أصول الدين وقد يختلفون في الشرائع.

وبهذا المبحث ختمت هذه الرسالة التي أرجو أن تكون مفيدة والحمد لله رب العالمين.

ثانيًا: توصيات البحث

لقد قام ابن القيم في عصره على نصر السنة مستدلًا بكتاب الله، وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم على منهج سلف الأمة، وهو لم يأت بجديد من أمور المعتقد إنما هو مسبوق فيما ذهب إليه، وأنا أوصي من لديه قدرة من العلماء أو طلاب العلم أن يكتبوا في جانب العقيدة ما يبين التوافق بين ابن القيم ومن سبقه من العلماء المحققين من علماء الشافعية في باقي أصول العقيدة مثل الأسماء والصفات، والألوهية، والربوبية، وأن يمر على باقي أركان الإيمان ويبين التوافق بينهما والله الموفق.

---

(١) بدائع الفوائد (١١٦١/٣).

المراجع والمصادر:

اعتقاد أئمة الحديث. لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني. (ت: ٣٧١هـ). تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط١، دار العاصمة: الرياض، (١٤١٢هـ).

الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار. ليحيى بن أبي الخير العمراني. (ت: ٥٥٨هـ). تحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، أضواء السلف: الرياض، السعودية، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة. (ت: ٥٣٥هـ). تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي - محمد بن محمود أبو رحيم، ط٢، دار الراية: الرياض، السعودية، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. (ت: ٢٥٦هـ). تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٥، دار ابن كثير، دار اليمامة: دمشق، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت: ٢٦١ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: القاهرة، (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

لسان العرب. لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (ت: ٧١١هـ). تحقيق: لليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، دار صادر: بيروت، (١٤١٤هـ).

مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام. أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (ت: ٧٢٨هـ). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، السعودية، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

معالم التنزيل في تفسير القرآن. لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي. (ت: ٥١٠هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع: ط٤، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

النبوات لتقي الدين. أبو العباس أحمد ابن تيمية. (ت: ٧٢٨هـ). تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف: الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

النهاية في غريب الحديث والأثر. لمجد الدين أبو السعادات. (ت: ٦٠٦هـ). طاهر أحمد الزاوي - ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العليمة: بيروت، (١٣٩٩هـ).